

الموعظة الثالثة

الربا

هدف الموعظة

بيان خطورة الربا، وعظم مفسده وآثاره على الفرد والمجتمع.

محاوِر الموعظة

1. حرمة الربا
2. آكل الربا
3. مآل الربا
4. حكمة تحريم الربا
5. من أضرار الربا

تصدير الموعظة

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾⁽¹⁾.

⁽¹⁾ سورة البقرة، الآية 276.

نهى الله - سبحانه -، في كتابه العزيز، عن أكل الربا، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ⁽¹⁾، وقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ⁽²⁾. وحرمة الربا من ضروريات الدين؛ بمعنى أنّ حرمة من الأمور الواضحة عند المسلمين، لا شكّ فيها. ومع ذلك، فقد تعرّض الله - تعالى - في كتابه العزيز، مضافاً إلى حرمة، إلى آثار التعامل به، وأنّه ليس من موارد ثناء المال، كما يظنّ الإنسان، بل إنّه محقوق عند الله؛ وما ذلك إلّا لخطورة هذه المسألة من الناحيتين الفرديّة والاجتماعيّة.

حرمة الربا

1. أخبثُ المكاسب، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «أخبثُ المكاسب، كسب الربا» ⁽³⁾.
 2. شرُّ الكسب، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «شرُّ الكسب، كسب الربا» ⁽⁴⁾.
- بل ثمة تشديد عظيم على حرمة هذه العمليّة، وحرمة المال منها، وإن كان درهماً واحداً، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «درهم ربا أعظم عند الله من ثلاثين زنية، كلّها بذات محرم مثل خالة وعمّة» ⁽⁵⁾.

أكل الربا

1. شُعبة من الجنون، يقول - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا

(1) سورة آل عمران، الآية 130.

(2) سورة البقرة، الآية 275.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 5، ص 147.

(4) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص 395.

(5) المصدر نفسه، ص 153.

يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَلِغُ مِثْلُ الرِّبَا ⁽¹⁾.

في شرح هذه الآية، يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي رحمته الله: «الآية تشبه المرابي بالمصروع أو المجنون الذي لا يستطيع الاحتفاظ بتوازنه عند السير، فيتخبط في خطواته.

ولعل المقصود هو وصف طريقة «سير المرابين الاجتماعي» في الدنيا، على اعتبار أنهم أشبه بالمجانين في أعمالهم، فهم يفتقرون إلى التفكير الاجتماعي السليم، بل إنهم لا يشخصون حتى منافعهم الخاصة، وأن مشاعر المواساة والعواطف الإنسانية وأمثالها لا مفهوم لها في عقولهم؛ إذ إن عبادة المال تسيطر على عقولهم إلى درجة أنها تعميهم عن إدراك ما ستؤدي إليه أعمالهم الجشعة الاستغلالية من غرس روح الحقد في قلوب الطبقات المحرومة الكادحة، وما سيعقب ذلك من ثورات وانفجارات اجتماعية تُعرض أساس الملكية للخطر، وفي مثل هذا المجتمع سينعدم الأمن والاستقرار، وستصادر الراحة من جميع الناس بمن فيهم هذا المرابي؛ لذلك فإنه يجني على نفسه أيضاً بعمله الجنوني هذا» ⁽²⁾.

2. ملعونٌ على لسان الله، فعن رسول الله صلوات الله عليه: «إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَعَنَ أَكَلَ الرِّبَا، وَمَوَكَلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدِيهِ» ⁽³⁾.

3. بطونهم كالبيوت فيها الحيات، فعن رسول الله صلوات الله عليه: «أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ بَطُونُهُمْ كَالْبُيُوتِ فِيهَا الْحَيَّاتُ تُرَى مِنْ خَارِجِ بَطُونِهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِئِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا».

(1) سورة البقرة، الآية 275.

(2) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مصدر سابق، ج2، ص338.

(3) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص395.

4. ملأ الله بطنه ناراً، فعن النبي ﷺ: «مَنْ أَكَلَ الرِّبَا مَلَأَ اللَّهُ -عِزَّ وَجَلَّ- بطنه من نار جهنم بقدر ما أكل، وإن اكتسب منه مالاً لا يقبل الله -تعالى- منه شيئاً من عمله، ولم يزل في لعنة الله والملائكة ما كان عنده منه قيراط»⁽¹⁾.

مآل الربا

1. يحق الله الربا

«الحق من لوازم الربا لا ينفك عنه، كما أنّ الإرباء من لوازم الصدقة لا ينفك عنها. فالربا محقوق وإن سُمِّيَ ربا، والصدقة رابية، وإن لم تُسمَّ ربا»⁽²⁾، يقول -تعالى-: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾⁽³⁾.

2. يحق الله دينه

قيل للإمام الصادق عليه السلام: قد نرى الرجل يُربي وماله يكثر، فقال: «يحق الله دينه، وإن كان ماله يكثر»⁽⁴⁾.

حكمة تحريم الربا

1. فساد الأموال، فعن الإمام الرضا عليه السلام: «إنما نهى الله -عِزَّ وَجَلَّ- عنه لما فيه من فساد الأموال؛ لأنّ الإنسان إذا اشتري الدرهم بالدرهمين، كان ثمن الدرهم درهماً وثمان الآخر باطلاً... حفظ الله -تبارك وتعالى- على العباد الربا لعلّ فساد

(1) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه، ثواب الأعمال، تقديم السيّد محمد مهدي السيّد حسن الخراسان، منشورات الشريف الرضي، إيران - قم، 1368 ش، ط2، ج2، ص336.

(2) الطباطبائي، العلامة السيّد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1417 هـ، ط5، ج2، ص421.

(3) سورة البقرة، الآية 276.

(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج100، ص117.

الأموال»⁽¹⁾.

2. لثلاً يذهب المعروف، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّمَا حَرَّمَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- الرِّبَا لثَلًّا يَذْهَبُ الْمَعْرُوفُ»⁽²⁾.

من أضرار الربا

1. يُخْلُّ بالتوازن الاقتصادي

يُخْلُّ الربا بالتوازن الاقتصادي في المجتمع، ويؤدّي إلى تراكم الثروة لدى فئة قليلة، ويوسّع الهوة بين الدول الغنيّة والدول الفقيرة.

2. يغرس روح الحقد والضغينة

يُضْعَفُ الربا العلائق العاطفيّة، ويغرس روح الحقد في القلوب؛ لأنّه يقوم على أساس أنّ المرابي لا ينظر إلّا إلى أرباحه، ولا يهتمّ الضرر الذي يصيب المدين.

3. ارتكاب الجرائم

يرضخ دافع الربا لدفع المال الزائد نتيجة حاجة قد ألجأته إلى ذلك، ولكنه لن ينسى ظلم المرابي له أبداً. إنّهُ يرى بعينه كيف أنّ حاصل تعبهِ وثمر حياثهِ يدخل إلى جيب هذا المرابي، في مثل هذه الحالة قد تُرتكب عشرات الجرائم المرعبة؛ فقد يقدم المدين على الانتحار، وقد تدفعه حالته اليائسة إلى أن يقتل المرابي شرّاً قتلة⁽³⁾.

(1) الصدوق، الشيخ محمد بن عليّ بن بابويه، علل الشرائع، تقديم السيّد محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدريّة، العراق - التجف الأشرف، 1385 هـ - 1966 م، لا.ط، ج2، ص483.

(2) الحرّ العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام، إيران - قم، 1414 هـ، ط2، ج20، ص120.

(3) راجع: الشيخ الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مصدر سابق، ج2، ص349-350.